

رسالة في ليلة التنفيذ

للشاعر / هاشم الرفاعي

أبتابه، ماذَا قد يخط بنائي والحبـل والجلـاد منتظـران
هـذا الـكتـاب إـليـكـ من زـنـزانـةـ مـقـرـورـةـ صـخـرـيةـ الجـدـرانـ
لم تـبـقـ إـلاـ لـيـلـةـ أـحـيـاـ بـهـاـ وـأـحـسـ أـنـ ظـلـامـهـاـ أـكـفـانـيـ
سـتـمـرـ يـاـ أـبـتـاهـ - لـسـتـ أـشـكـ فـيـ هـذـاـ - وـتـحـمـلـ بـعـدـهـاـ جـثـمـانـيـ

الـلـيـلـ مـنـ حـوـلـيـ هـدوـءـ قـاتـلـ وـالـذـكـرـيـاتـ تـمـورـ فـيـ وجـدـانـيـ
وـيـهـدـنـيـ أـمـيـ،ـ فـأـنـشـدـ رـاحـتـيـ فـيـ بـضـعـ آـيـاتـ مـنـ القـرـآنـ
وـالـنـفـسـ بـيـنـ جـوـانـحـيـ شـفـافـةـ دـبـ الـخـضـوـعـ بـهـاـ فـهـزـ كـيـانـيـ
قد عـشـتـ أـوـمـنـ بـإـلـهـ وـلـمـ أـذـقـ إـلاـ أـخـيـرـاـ لـذـةـ إـلـيـمـانـ
شـكـراـ لـهـمـ،ـ أـنـاـ لـاـ أـرـيدـ طـعـامـهـمـ فـلـيـرـفـعـوهـ،ـ فـلـسـتـ بـالـجـوـعـانـ
هـذـاـ طـعـامـ المـرـ مـاـ صـنـعـتـهـ لـيـ أـمـيـ،ـ وـلـاـ وـضـعـوـهـ فـوـقـ خـوـانـ
كـلـاـ،ـ وـلـمـ يـشـهـدـ يـاـ أـبـتـيـ مـعـيـ أـخـوـانـ لـيـ جـاءـاهـ يـسـتـبـقـانـ
مـدـواـ إـلـىـ بـهـ يـدـاـ مـصـبـوـغـةـ بـدـمـيـ،ـ وـهـذـيـ غـايـةـ إـلـيـسـانـ
وـالـصـمـتـ يـقـطـعـهـ رـنـينـ سـلـاسـلـ عـبـثـ بـهـنـ أـصـابـعـ السـجـانـ
مـاـ بـيـنـ آـوـنـةـ تـمـرـ..ـ وـأـخـتـهـاـ يـرـنـوـ إـلـىـ بـمـقـلـتـيـ شـيـطـانـ
مـنـ كـوـةـ بـالـبـابـ يـرـقـبـ صـيـدـهـ وـيـعـودـ فـيـ أـمـنـ إـلـىـ الدـورـانـ
أـنـاـ لـاـ أـحـسـ بـأـيـ حـقـ نـحـوـ مـاـذـاـ جـنـيـ؟ـ فـتـمـسـهـ أـضـغـانـيـ
هـوـ طـيـبـ الـأـخـلـاقـ مـثـلـكـ يـاـ أـبـيـ لـمـ يـبـدـ فـيـ ظـلـامـ إـلـىـ العـدـوـانـ
لـكـنـهـ إـنـ نـامـ عـنـيـ لـحـظـةـ ذـاقـ الـعـيـالـ مـرـارـةـ الـحرـمانـ
فـلـرـبـماـ وـهـوـ المـرـوعـ سـحـنةـ لـوـ كـانـ مـثـلـيـ شـاعـرـاـ لـرـثـانـيـ
أـوـ عـادـ -ـ مـنـ يـدـرـيـ؟ـ -ـ إـلـىـ أـوـلـادـهـ يـوـمـاـ وـذـكـرـ صـورـتـيـ لـبـكـانـيـ

وعلى الجدار الصلب نافذة بها معنى الحياة غليظة القضبان
قد طالما شارفتها متأنلاً في التائرين على الأسى اليقظان
فأرى وجوماً كالضباب مصوراً ما في قلوب الناس من غليان
نفس الشعور لدى الجميع وإن هم وكموا، وكان الموت في
إعلان

ويدور همس في الجوائح ما الذي بالثورة الحمقاء قد
أغارنا؟

أولم يكن خيراً لنفسي أن أرى مثل الجميع أسير في إذعان؟
ما ضرني لو قد سكت، وكلما غالب الأسى بالغت في الكتمان
هذا دمي سيسيل، يجري مطفأً ما ثار في جنبي من نيران
وفوادي الموار في نبضاته سيف في غده عن الخفكان
والظلم باق، لن يحطم قيده موتي، ولن يودي به قرباني
ويسيير ركب البغي ليس يضيره شاة إذا اجتثت من القطuan

هذا حديث النفس حين تشف عن بشرتي.. وتمور بعد ثوان
وتقول لي: إن الحياة لغاية أسمى من التصفيق للطغيان
أنفاسك الحرى وإن هي أخمدت ستظل تغمر أفقهم بدخان
وقروح جسمك وهو تحت سياطهم قسمات صبح يتقيه الجاني
دمع السجين هناك في أغلاله ودم الشهيد هنا سيلتقيان
حتى إذا ما أفعمت بهما الربا لم يبق غير تمرد الفيضان
ومن العواصف ما يكون هبوبها بعد الهدوء وراحة الربان
إن احتدام النار في جوف الثرى أمر يثير حفيظة البركان
وتتابع قطرات ينزل بعده سيل يليه تدفق الطوفان
فيموج.. يقتلع الطغاة مزاجراً أقوى من الجبروت والسلطان
أنا لست أدربي، هل سئذكر قصتي أم سوف يعروها دجي النسيان؟
أم أنتي سأكون في تاريخنا متآمراً أم هادم الأولئان؟

كل الذي أدريه أن تجري على كأس المذلة ليس في إمكاني
لو لم أكن في ثورتي متطلباً غير الضياء لأمتى لكتاني
أهوى الحياة كريمة.. لا قيد.. لا إرهاب.. لا استخفاف
بالإنسان

فإذا سقطت سقطت أحمل عزتي يغلي دم الأحرار في شرياني
أبتاه، إن طلع الصباح على الدنيا وأضاء نور الشمس كل
مكان

واستقبل العصفور بين غصونه يوماً جديداً مشرق الألوان
وسمعت أنغام التفاؤل ثرة تجري على فم بائع الألبان
وأتى - يدق كما تعود - بابنا سيدق بباب السجن جladan
وأكون بعد هنيئة متارجحاً في الحبل مشدوداً إلى العيدان
ليكن عزاوك أن هذا الحبل ما صنته في Heidi الربوع يدان

نسجوه في بلد يشع حضارة وثضاط منه مشاعل العرفان
أو هكذا زعموا، وجيء به إلى بلدي الجريح على يد الأعوان
أنا لا أريدك أن تعيش محطمًا في رحمة الآلام والأشجان
إن ابنك المصفوود في أغلاله قد سيق نحو الموت غير مдан
فاذكر حكايات بأيام الصبا قد قلتها لي عن هوى الأوطان
وإذا سمعت نشيج أمي في الدجى تبكي شباباً ضاع في
الريعان

وتكتم الحسرات في أعماقها المما تواريه عن الجيران
فاطلب إليها الصفح عنني، إنني لا أبتغي منها سوى الغفران
ما زال في سمعي رنين حديثها ومقالها في رحمة وحنان
أبني: إنني قد غدوت عليه لم يبق لي جلد على الأحزان
فاذق فؤادي فرحة بالبحث عن بنت الحلال ودعك من
عصيان

كانت لها أمنية.. ريانة يا حسن آمال لها وأمان!
غزلت خيوط السعد مخضلا ولم يكن انتقام الغزل في الحسبان
والآن لا أدرى بأي جوانح ستبيت بعدي أم بأي جنان

هذا الذي سطرته لك يا أبي بعض الذي يجري بفكر عان
لكن إذا انتصر الضياء ومزقت بيد الجموع شريعة القرصان
فلسوف يذكرني ويكبر همتني من كان في بلدي حليف هوان
وإلى لقاء تحت ظل عدالة قدسية الأحكام والميزان